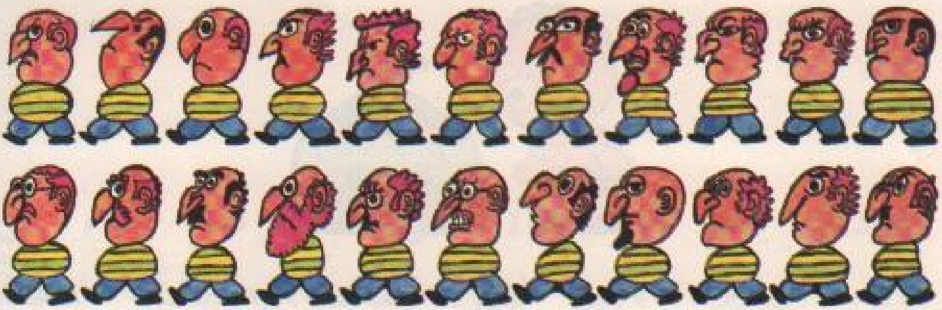


الفـأس

قصة كمال عبد الصمد

رسوم حجازي



هاجَمت عصابةٌ من اللصُّوص قريةَ عينِ الصَّفصاف فاستولت عليها، وشرَّدت أهلَها.

كانَ والدُ ضياء أحدَ المُدافعينَ عن قريتهِ، ولكنَّ عصا فأسِهِ المصنوعة من خشبِ الشوحِ الضعيفِ انكسرت، فخرَّ والدُ ضياء صريعاً.

بكت أمُّ ضياءِ زوجَها البطل، ثم حملَت إبنهَا وصرةَ ثيابِها ومشت.



رافقَ ضياء أُمَّهُ في مشوارِها الطويل، حتى استقرَّ بهم الحال في مرجٍ فسيح.

وظلَّ ضياء يتذكَّرُ بشكلٍ مُبْهَمٍ بيتاً جميلاً، أمامه شجرةُ زيتون وداليةُ عنب، ورجلاً يخُرُّ صريعاً، وفأساً ملوَّثةً بالدَّم، تنتقلُ من يدٍ إلى يد.

وبقيَ لديه شعورٌ من الحنين الجارف إلى مكانٍ يجهَلُه.

وكان ضياء أينما ذهبَ مع أمِّه يُرافقه سرٌّ عجيب، وهو الصرَّةُ التي لم يسمح له بفتحِها.

وذات يومٍ خرجت الأمُّ من الدار، فقام ضياء على رؤوسِ أصابعِه، وفتحَ الصَّرة العجيبة، وأصابته الدَّهْشةُ عندما لم يجد فيها إلا عباءةً مطرزةً، زاهيةَ الألوانِ، تلبِسُها النِساء في الأعراسِ والأعياد، وفأساً بلا هَراوة.

ودَخلتْ أم ضياء خِلسةً، فشاهدَتْهُ ما زالَ يتأملُ محتوياتِ الصُّرَّةِ وهو لا يفهمُ شيئاً، فقالت لَهُ: هذِه وصيّةُ والدك: الفستانُ لعروسِك عندما تتزوج، والفأسُ لكَ لتُدافعَ عن القريةِ وتستعيدَها من اللُّصوص. فأمسك ضياءٌ بالفأس وهو يُتمتمُ: سوفَ أجدُ لها يوماً عصاً قويةً من خشبِ السنديانِ الذي لا يَنكسر.

نام ضياء، وأخذَ يَحْلُم.

فاقتربَ القمرُ من شُبَّاكِه وقال: دعني أدخل لأرى فأسَك الجميلة. ثم وَجَّهَ القمرُ حزمةً من أشعَّتِه باتجاهِ الفأس، فبدا حدُّها جميلاً يلمعُ كأحجارِ الألماسِ والياقوت. فنظرَ ضياءٌ إليها وقالَ للقمر في حُزنٍ: ولكنَّها من غيرِ عصا، ساعِدْني في الحصول على عصاً من خشب السنديان.

فردَّ القمر: الخَشبُ من الشجر، والشجرُ في الغابة، والغابةُ مُتشابكة الأغصان، أخاف أن أدخُلها فتبتلِعُني العتمة.



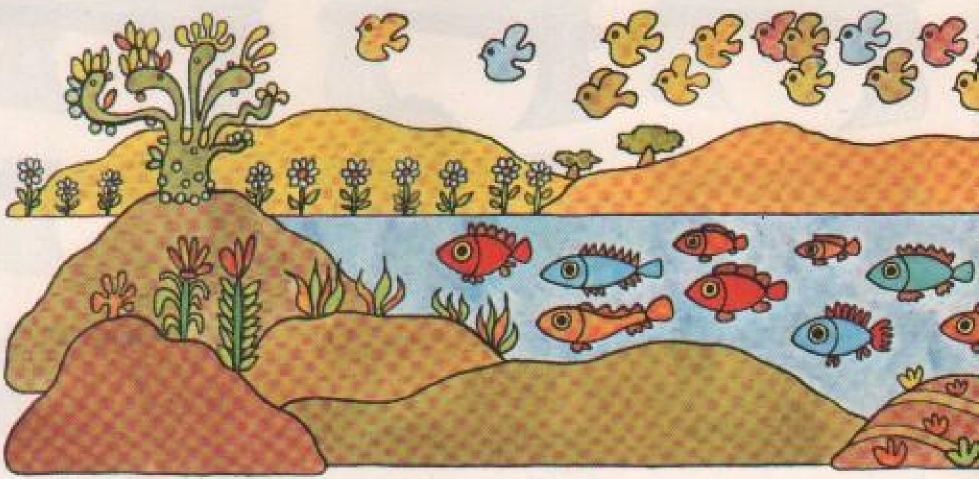
ولما بدا الحزنُ على ضياء، رَقَّ له قلبُ القمرِ فمدَّ جِسراً عجيباً من أشعَته الفِضّية، مَشى ضيَاء عليه حتى وَصلَ إلى مدخل الغابة.



كانت أزهار دوّار الشمسِ تصحو من نومِها، وترفَعُ إلى الشَّمسِ وجوهاً مثلَ وجُوهِ الأطفال.

قال ضياء: ساعديني، أُريدُ عصا قوية لفأسي.

- نحنُ لا نفارقُ الغابةَ لأنَّنا ننظُر دوْماً إلى الشمس، إذهبْ إلى العصافير.

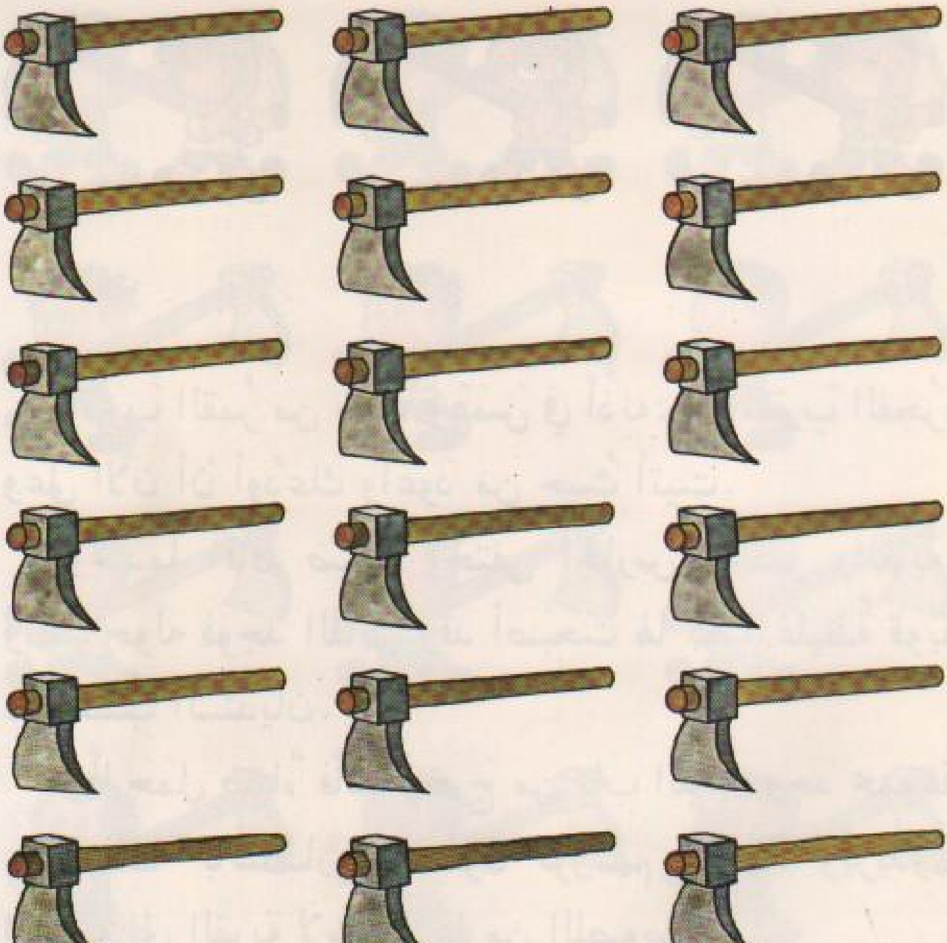


وذهبَ ضياء إلى العصافير فقالت له: إذهبْ إلى الأسماكِ، فنحنُ لا نُجيدُ إلاَّ الغناءَ.

وذهَب إلى الأسماكِ، فقالت له: إسْبَح معنا، وسنوصِلُك إلى حارسِ الغابةِ فهوَ يحبُّ مُساعدةَ الشُجعان.



رحَّبَ الحارسُ بضياء وقَال له: أعرفُ ما تريد، فقد كان والدُك صاحبي. أُنظر أمامك، وستَجِدُ على مقرُبَةٍ من هنا جِسراً من الحَجَرِ بديع الصُنْعِ، بَناه أجدادُك، وطالما ساروا عليه للذَّهَابِ إلى أعمالِهم والعودةِ منها. ستجِدُ في آخر الجِسر حُرْجاً صَغيراً من أشجارِ السنديان، تقطعُ منه العصا المناسبَةَ لفأسِك.





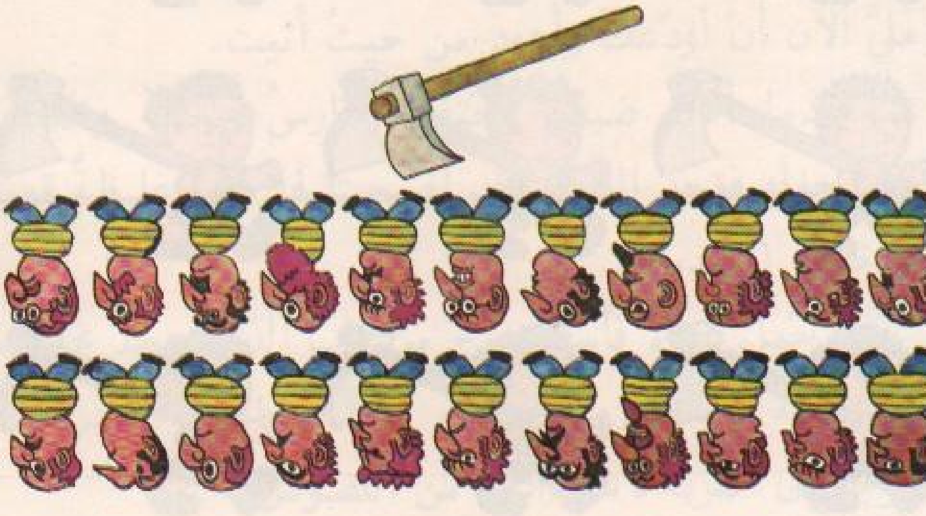
اقتربَ القمرُ من ضياء وهَمَسَ في أذُنه: لقد اقتربَ الفجرُ، وعَليَّ الآنَ أنْ أودِّعكَ وأَعودَ من حيثُ أَتيت.

وعندما أفاق ضياءٌ، إختَفى الحارسُ والقمرُ والغابة، ونظَرَ حولَه فوجدَ الفأسَ وقد أصبحَتْ لها عصا غليظةٌ قويّةٌ من خشبِ السنديان.

ولمَّا حَمَل ضِياءٌ فأسَه وخرجَ من بابِ الدّار، وجدَ مجموعةً من رفاقِه بانتظاره، يحمِلون فؤوسَهم القويّة، ويُريدون التوجُّه إلى القَرية لاستردادها من اللصوص.



على باب الدارِ ودَّعت أمّ ضياء ولدَها، ولكنْ من غيرِ دموع، وهي تقولُ بصوتٍ متهدِّجٍ: رافقتكم السلامَة، غدا نُلاقيكم في عينِ الصفصاف، لنُعيدَ حرثَ الأرضِ، ونزرعَها غرساً جديداً.



تضم هذه السلسلة مجموعة حكايات معبرة أبطالها من الطيور والحيوانات والأطفال، مكتوبة بأسلوب مشوق ومزدانة بلوحات فنية تساعد على توضيح أحداثها.

صدر من هذه السلسلة:

١ - الشجرة
٢ - الفيل يجد عملا
٣ - بديع الزمان
٤ - القفص الذهبي
٥ - الحمامة البيضاء
٦ - جزيرة الضياع
٧ - عودة الطائر
٨ - السلحفاة الحكيمة
٩ - ندم حصان
١٠ - بيت للورقة البيضاء
١١ - وحيد القرن والعصافير
١٢ - الفيل في الصحراء
١٣ - نرجس
١٤ - الريش الجميل
١٥ - الطفل والمطر
١٦ - القط الكسلان
١٧ - الشراع الأبيض
١٨ - الجراد في المدينة

الطبعة الأولى ١٩٧٥
الطبعة الثانية ١٩٧٧

١٩ - صيام الثعلب
٢٠ - الفأر والجبل
٢١ - الفلاح والتنين
٢٢ - الصياد وديك الحجل
٢٣ - القمر والصغار
٢٤ - ضجر السلطان

الطبعة الأولى ١٩٧٧

٢٥ - الغضب
٢٦ - غزال محب للأسئلة
٢٧ - جواد الأرض الخضراء
٢٨ - البلبل الصغير الشريد
٢٩ - حصان العم رضوان
٣٠ - رحلة الدجاجة الذكية

الطبعة الأولى ١٩٨٠

٣١ - الفأس
٣٢ - السلطان والقمر
٣٣ - مدينة الألوان
٣٤ - عصفور الجنة

الطبعة الأولى ١٩٨١


سلسلة المستقبل للأطفال
دار الفتى العربي للنشر والتوزيع
كورنيش المزرعة. بناية الدوزة. ص.ب ١٤/٥٢٣٦ . بيروت – لبنان